قصة أبينا آدم

1. خلق آدم وحواء
2. سجود الملائكة لآدم
3. قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وتوبته منها ومغفرة الله له
4. استخلاف آدم في الأرض

إعداد:

ماجد بن سليمان

يونيو 2014

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغاً بشأن نبي الله آدم عليه السلام ، فذكر قصته من مبتدأ خلقه ، ثم تكلم عن خلق أمنا حواء في موضعين ، ثم ذكر قصة تكريم الله لآدم بالعلم ، ثم قصة تشريف الله له بأمر الملائكة للسجود له سجود تحية ، ثم ذكر قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها ، ثم ذكر قصة توبته من تلك الخطيئة وكيف أن الله تاب عليه وسامحه وعفا عنه وغفر له ذلك الذنب ومحاه فلم يعد له وجود.

ثم تكلم القرآن عن قصة استخلاف آدم في الأرض ، بعمارة بَنِيه لها جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة.

وقد أكّد القرآن الكريم في كل هذه المراحل على أن الهدف من خلق آدم وبنيه هو عبادته وحده لا شريك له ، وأن ذلك لا يكون إلا باتباع الشرائع التي بأيدي الأنبياء الذين يرسلهم الله على مر القرون ، بدءا من النبي آدم إلى خاتمهم وهو محمد ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

وقد سلك الإسلام في الاعتقاد بآدم مسلكا وسطا ، فالشيطان (إبليس) احتقر آدم ، ورفض احترامه وتكريمه بالسجود له كما أمره ربنا ، وكان السبب في هذا أمران؛ **الأول**: التكبر ، فقد رفض أمر الله له بالسجود له لكونه خُلِقَ من نار ، وآدم مخلوق من طين ، وهو يرى أن النار أفضل في مادتها من الطين ، والحق أن كليهما مخلوقان لله ، واختلاف الخلقة لا يوجب التكبر عن عبادة الله ورفض أوامره.

الثاني: الحسد ، فقد حسد الشيطان أبانا آدم أن تبوأ هذه المكانة ، وهي سجود الملائكة والجن له سجود احترام وتحية وتشريف.

وقد كان الواجب عليه هو طاعة أمر الله له ، وعدم الاعتراض عليه ، لأن الله حكيم ، يضع الأشياء مواضعها ، ويريد بعباده الخير والفلاح.

وعلى الجانب الآخر ، فالنصارى[1] سلكوا مع آدم مسلكا شططا ، فاعتقدوا أن خطيئته لما أكل من الشجرة انتقلت إلى بنيه على مر القرون والعصور ، بالرغم من أنهم لا ذنب لهم ، ويعتقدون أن المسيح عيسى ابن مريم رَضِي بصلبه على الصليب وقتله ليفتدي خطايا من آمن به كمُخَلِّص لهم من تلك الخطيئة ، وأنَّ من لم يؤمن به كمُخَلِّص فإن الخطيئة ستكون لصيقة به ، وأنه سيلقى الله يوم القيامة بها ، وستكون عاقبته الدخول في النار بحسب اعتقادهم.

ولا شك أن هذا الاعتقاد غير صحيح ، لأنه غير موافق لا للعقل ولا للإنجيل الذي كان بيد عيسى ، ولا لدين عيسى ابن مريم الأصلي ، وسيأتي بيان ذلك في ثنايا الكتاب ، وسيأتي بيان أن أصل هذا الاعتقاد هو التحريف الذي زرعه اليهود وقساوسة النصارى في دين النصارى على مدى عشرين قرنا ، وأن الحق الذي لا مِرية فيه أن أبانا آدم ندم على خطيئته وطلب من الله المغفرة فغفر الله له وانتهى الموضوع ، فلم يُورِّث آدم خطيئة أصلا لأن الله محاها عنه في ذلك الحين.

أما المسيح عيسى ابن مريم فإنه لم يمت ولم يُصلب ليفتدي خطايا الناس ، بل حماه الله من كيد اليهود لما أرادوا قتله ، فرفعه إلى السماء في معجزة إلٰهية ليس لها نظير ، وقتل اليهود رجلا خبيثا يُشبهه ظنوه هو عيسى ابن مريم ، وصلبوه وبصقوا في وجهه ، فنجى الله نبيه عيسى ، وحاشاه أن يصيبه شيء من أذى اليهود.

وقد بين القرآن حقيقة هذا الأمر ، وكان هذا بعد رسالة عيسى بنحو ستة قرون ، فإن الله رحيم بعباده ، لم يتركهم يسيرون مضطربين بلا هداية ولا إرشاد ، فأرسل إليهم محمدا ، وأنزل عليه القرآن ، وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل ، وبين حقيقة آدم عليه السلام ، وحقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام ، فلم يدع شبهة إلا أزالها ، ولا حقيقة إلا أبانها ، فالحمد لله على نعمة القرآن.

---

[1] النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين ، وهم أتباع المسيح عيسى ابن مريم ، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك ، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الـحواريون نحن أنصار الله﴾.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة ، وهي صفة مدح وثناء.

والذي دعاني لإعداد هذا البحث هو إطلاع أتباع الأديان الأخرى على عقيدة المسلمين في آدم عليه السلام ، ومسألة الخطيئة على وجه الخصوص ، حيث أني وجدت من خلال بعض مناقشاتي مع بعض النصارى (المسيحيين) أنهم يفهمون مسألة الخطيئة فهما لا يوافق العقل ، ولا يوافق عقائد الأنبياء كلها ، ولا يوافق صفات الله سبحانه وتعالى لاسيما صفة العدل والرحمة ، فضلا عن كون هذا الاعتقاد يلزم منه أن جميع من ماتوا قبل المسيح ابن مريم أنهم لا كفارة لهم ، وأن مصيرهم النار كلهم ، وهذا من معاندة العقل البشري ، ومن الظلم الذي يتنزَّه الله الرحيم عنه.

ومن اللطائف أني أطْلعتُ إحدى الباحثات على حقيقه اعتقاد المسلمين في آدم عليه السلام ، وما ذكره الله في القرآن من قصته في مواطن عديدة من القرآن ، فانبهرت بذلك ، وكأن عقدة نفسية زالت من نفسها.

وبعد:

فهذا البحث يسلط الضوء على أخبار أول الأنبياء وهو أبونا آدم كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[1] ، وهو يدور على المواضيع التالية:

[1] معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة ، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه ، وهو يستحق ذلك ، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.

ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات ، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.

فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد وسَلِّمه من الآفات.

وهذه الجملة جملة توقير واحترام ، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد ، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له ، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.

كما يستحب ذكر هذا الدعاء عند ذكر باقي الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام.

1. خَـلْـقُ آدم
2. اصطفاء الله لآدم
3. خَـلْـقُ حواء
4. تكريم الله لجميع بني آدم وحواء ، وهم جميع البشر
5. الغاية من خلق الإنس والجن
6. مفهوم العبادة في الإسلام
7. أمَـرَ الله الملائكة بالسجود لأبينا آدم تحية له ، وتكـبَّرَ إبليس عن الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى
8. استخلاف آدم في الأرض
9. تعليم آدم الأسماء كلها
10. من هو إبليس (الشيطان)
11. قصة آدم لما أكل من الشجرة التي حرَّم الله عليه الأكل منها
12. التحذير من اتباع الشيطان
13. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم لما أكل من الشجرة: بيان بطلان عقيدة توارث الذنب الأصلي التي يعتقدها النصارى ، ولنا معها ثمانية عشر وقفة

وبعد ، فلا يفوتني التنبيه بأني نقلت شرح الآيات التي نقلتها من كتب التفسير المشهورة لاسيما كتاب «التفسير الميسر» وتفسير الشيخ عبد الرحمٰن السعدي المعروف بـ «تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمٰن».

وفق الله الجميع للعلم النافع والاعتقاد الصالح ، وجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

اللهم رب جبرائيل وميكائل وإسرافيل[3] ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

ماجد بن سليمان ، في تاريخ 2 شعبان من عام 1435 هجري ، الموافق 31 مايو لعام 2014 ميلادي.

[3] جبرائيل هو أعظم الملائكة ، وهو الملك الموكل بالوحي إلى الرسل ، ميكائيل هو المَلَك الموكل بالمطر ، إسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور ليقوم الناس يوم القيامة للحساب والجزاء. فاطر السماوات والأرض أي خالقها.

توضيح مصطلحات متكررة في الكتاب

- **مصطلح «صلى الله عليه وسلم»**

كما تقدم في أول المقدمة ، فإن معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة ، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه ، وهو يستحق ذلك ، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.
ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات ، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.
فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد وسَلِّمه من الآفات.
وهذه الجملة جملة توقير واحترام ، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد ، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له ، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.
كما يستحب ذكر هذا الدعاء عند ذكر باقي الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام.

- **مصطلح « عليه السلام»**

إذا قيل في حق نبي (**عليه السلام**) فهذا دعاء له بالسلامة والعافية في عرضه وشرفه حتى بعد موته.

- **مصطلح «النَّصارى»**

تقدم الكلام أن النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين ، وهم أتباع المسيح عيسى ابن مريم ، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.
وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك ، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾.
وقيل إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين.
وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.
وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة ، وهي صفة مدح وثناء.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

1. خَـلْـقُ آدم

قال الله تعالى في القرآن العظيم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[1] .

تفسير الآية:

أي: ولقد خلقنا آدم مِن صلصال ، وهو طين يابس إذا نُقِر عليه سُـمِع له صوت وصلصلة كصوت الفخار ، كما قال الله في آية أخرى ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[2] .
وهذا الطين اليابس هو من حَمَإٍ مَسنون ، وهو الطين الأسود الأملس ، الذي تغيِّر لونه وريحه مِن طول مكثه.

وقد جاء إجمال خلق آدم من طين في آية أخرى ، وهي قول الله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[3] .

كما جاء ذكر خَلْق أبينا آدم من تراب ، قال الله تعالى في القرآن العظيم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن **تُرَابٍ** ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[4] .

تفسير الآية:

إنَّ خَلْقَ الله لعيسى من غير أب كمثل خلق الله لآدم من غير أب ولا أم ، إذ خلقه الله من تراب الأرض ثم قال له: "كن بشرًا" فكان آدم.

فهذه أربع آيات في القرآن الكريم تحدثت عن خلق أبينا آدم عليه السلام ، الأولى والرابعة في سورة آل عمران ، والثانية في سورة الرحمٰن ، والثالثة في سورة ص.

---

[1] سورة الحِجْـر: 28 .
[2] سورة الرحمٰن : 14 .
[3] سورة ص: 71 .
[4] سورة آل عمران: 59 .

تنبيه:

يتبين من هذه الآية أن دعوى إلٰهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة ، فآدم عليه السلام خُـلِق من غير أب ولا أم ، ليس هذا فحسب ، بل ونفخ فيه من روحه ، وليس من روح المَلَك جبريل ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، ومع هذا فاتفق الجميع (المسلمون والنصارى واليهود وجميع أتباع الأديان السماوية) على أنه عَبْدٌ من عباد الله ، ليس فيه من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء ، فإنْ صحَّ ادِّعاء البنوة والإلٰهية في المسيح ؛ فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل ، فبناء عليه فإن دعوى الإلٰهية في المسيح باطلٌ أيضا.

***

2. اصطفاء الله لآدم

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِين ﴾[1].

تفسير الآية:

أي: إن الله اختار آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عِمران ، وجعلهم أفضل أهل زمانهم.

3. خَـلْـقُ حواء

قال الله سبحانه وتعالى في القرآن بخصوص خلق حواء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ **وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿هوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[3].

تفسير الآيتين:

---

[1] سورة آل عمران: 32 .

[2] سورة النساء: 1 .

[3] سورة الأعراف: 189 .

النفس الواحدة هي آدم ، وخلق من هذه النفس زوجها وهي حواء ، فإنّها أُخرجت من آدم ، أي من ضِلْعِه ، كما يدل عليه ظاهر الآية في قوله ﴿وخلق منها﴾ ، وقوله في الآية الثانية ﴿وجعل مِنْهَا﴾ ، وهذا القول هو قول جمهور المفسرين للقرآن الكريم.

وقوله ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أي: ليأنس بها ويطمئن.

فبهذا يتبين أن أُمَّنا حواء خُلِقت من أبينا آدم ، من ضِلْعِه ، والله يخلق ما يشاء كما يشاء سبحانه وتعالى ، قادر على كل شيء ، لا يُعجِزُهُ شيء ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

لفتة لطيفة:

خَلَق الله آدم من تراب ، لا من ذكر ولا من أنثى ، (يعني بلا أب ولا أم).

وخَلق حواء من ذكر بلا أنثى ، (يعني خلقها من ذَكَر وهو آدم ، خلقها الله من ضِلعِهِ).

وخَلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، (يعني خلقه من أنثى وهي مريم العذراء ، بلا أب).

وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى (وهم جميع البشر).

فسبحان من بهر بقدرته العقول.

4. تكريم الله لجميع بني آدم وحواء ، وهم جميع البشر

بَنِي آدم وحواء هم جميع الناس ، لأن جميع الناس توالدوا منهما ، والقرآن يُقرِّر أن جميع البشر مُكَرَّمين ، غير مُهانين مثل البهائم والجمادات ، ومن دلائل تكريمهم أن الله سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1] .

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها ، كما قال تعالى في سورة التِّين ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ ، أي إن الله جعل له سمعا وبصرا وعقلا يَفقهُ به وينتفع ، ويُفرق بها بين الأشياء ، ويعرف منافعها وخواصها ومضارّها.

[1] سورة الإسراء: 70 .

كما خلقه الله يمشي قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه ، في حين أن غيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه.

كما كرَّم الله ذرية آدم بإرسال الرسل ، وسَخَّر لهم جميع ما في الكون ، وسَخَّر لهم الدواب في البر كالإبل والخيول والبغال والحمير والمراكب البَرِّية المعروفة الآن ، كالسيارات والطائرات ، وسخَّر لهم السفن في البحر لحملهم ، ورزقهم من طيبات المطاعم والمشارب ، وفضَّلهم على كثير من المخلوقات تفضيلا عظيمًا.

فإذا كانت هذه بعض نِعم الله على عباده ، أفلا يستحق أن يُشكر عليها بإفراده بجميع أنواع العبادات ، واجتناب عبادة غيره من المخلوقات ، سواء كانت جمادات أو غيرها؟

5. الغاية من خلق الإنس والجن

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق – الجن والإنس – لحكمة عظيمة وغاية جليلة ، وهي عبادته سبحانه وتعالى ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، وقال تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملِك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ ، وقال تعالى ﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سدى﴾ ، أي: أَحسِب الإنسان أن يُترك هملا ، لا يُؤمر ولا يُنهى ، ولا يُحاسب ولا يُعاقب؟

6. مفهوم العبادة في الإسلام

العبادة هي التذلل لله عز وجل محبة وتعظيما ، بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه ، كما قال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ ، أي: ما أُمِر الناس في سائر الشـرائع إلا ليعبدوا الله وحده ، ويكونوا حنفاء ، أي مائلين عن الإشراك مع الله في العبادة إلى التوحيد والإخلاص لله في سائر العبادات ، ويقيموا الصلاة ، ويؤدوا الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين ونحوهم ، وذلك دين القيِّمة ، أي دين الاستقامة ، وهو الإسلام.

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك.

7. أمَـرَ الله الملائكة بالسجود لأبينا آدم تحية له ، وتكـبَّرَ إبليس عن الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى

ذكر الله سبحانه وتعالى قصة سجود الملائكة لأبينا آدم عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم ، تنبيها لأهميتها ، وليكون في هذا تشويق وإعجاز بسرد نفس القصة بأسلوب بلاغي مختلف ، قال الله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[1] .

وقال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُون * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين * قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال ربِّ بما أغويتني لأزيِّـــنَنَّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط علي مستقيم * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين * وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾[2] .

وقال الله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِين * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِين * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإنك عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحقُّ والحقَّ أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾[3] .

شرح الآيات:

اختص الله سبحانه وتعالى أبانا آدم بأربع خصائص لم تحصل لأحد قبله ، فقد خلقه الله آدم بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وعلَّمه أسماء كل شيء ، ثم أمر الملائكة بالسجود له ، إكراما وتعظيما وإجلالا ، فبادروا بالسجود لآدم ممتثلين لأمر ربهم ، إلا إبليس امتنع عن السجود تكبرًا وحسدًا ، فقال كما أخبر الله عنه في آية أخرى ﴿ءأسجد لمن خلقت طينا﴾ ، وفي آية أخرى ﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ ، أي لا يليق بي أن

---

[1] سورة البقرة: 34 .

[2] سورة الحِجر: 28 – 44 .

[3] سورة ص: 71 – 85 .

أسجد لبشر خلقته من طين ، فهو يرى أن النار أشرف من الطين[1] ، لعُـلُـوِّها وصُعودها وخِفَّـتِها ، فلهذا امتنع عن السجود ، وخاصم ربه ، فصار من العاصين لأمر الله ، فطرده الله من رحمته ، وسماه "إبليس" إعلاما له بأنه قد أبْـلَس من الرحمة ، أي: أَيِـسَ منها.

وإبليس وإن لم يكن من الملائكة فإنه دخل في خطابهم لما خاطبهم الله ، لأنه تشبه بهم ، وتعبد وتنسك ، فلهذا دخل في خطابهم ، ثم لما عصى الله وخالف أمره خرج عنهم.[2]

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.[3]

فقوله ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ أي أن إبليس خانَـهُ أصله ، وهو كونه جِنِّيًّا ، فاغتر بأصله الذي خُلِق منه ، فعاد عليه غروره بالوبال.

ومن باب الفائدة فإن جميع الجن مخلوقون من نار ، فعن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال:

---

[1] قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله: وهذا القياس من أفسد الأقيسة ، فإنه باطل من عدة أوجه:

منها: أنه في مقابلة أمر اللّه له بالسجود ، والقياس إذا عارض النص ، فإنه قياس باطل ، لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص يقارب الأمور المنصوص عليها ويكون تابعا لها ، فأما قياسٌ يعارضها ، ويلزم من اعتباره إلغاءُ النصوص ؛ فهذا القياس من أشنع الأقيسة.

ومنها: أن قوله ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ بمجردها كافية لنقص إبليس الخبيث ، فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره ، والقول على اللّه بلا علم. وأي نقص أعظم من هذا؟

ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب ، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة ، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات على اختلاف أجناسه وأنواعه ، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق.

ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى ، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين. انتهى.

زاد القرطبي رحمه الله فقال في مادة الطين: وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع ، فأورثه المغفرة والهداية.

ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع والاضطراب ، وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار ، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء.

كما ذكر القرطبي في تفسير نفس الآية سببين آخرين لتفضيل الطين على النار فقال ما ملخصه أن النار سبب العذاب ، وهي عذاب الله لأعدائه ، وليس التراب سببا للعذاب.

كذلك فإن الطين مستغنٍ عن النار ، في حين أن النار محتاجة إلى المكان ، ومكانها التراب. انتهى الغرض منه.

انظر كلامهما رحمه الله في تفسيريهما لسورة الأعراف: 12 .

[2] قاله ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الكريمة.

[3] سورة الكهف: 50 .

خُـلِقت الملائكة من نور ، وخُلِق الجان من مارجٍ من نار ، وخُلِق آدم مما وُصِف لكم.[1]

ومعنى (مارج من نار) ، أي من لهب النار المختلط بعضه ببعض.

ثم توعد الله إبليس ومن تبِعه من الإنس والجن فقال ﴿هذا صراط علي مستقيم﴾ ، أي: هذا طريق مرجعه إليّ فأُجازي كلا بأعمالهم ، ثم قال ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ ، أي ليس لك على عبادي المخلصين سبيل ، أما الغاوين الضالين فلك عليهم سلطان وطريق.

ثم توعد الله إبليس ومن تبعه من الناس بجهنم ، فقال ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ ، أي: قد كُـتِب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلون جهنم من ذلك الباب ، لا محيد لهم عنه – أجارنا الله منها – ، وكل باب يدخل منه ناس بحسب عملهم ، فبعض الأبواب تؤدي إلى منازل أحرُّ من غيرها ، فيستقر في دَرَكِها بقدر عمله الخبيث ، وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى.

تنبيه

مما ينبغي التنبه إليه هو أن هذا السجود المطلوب من الملائكة لآدم ليس سجود عبادة ، بحيث أنه يُقصد به التذلل والخضوع والعبادة لآدم ، بل هو سجود تحية ، وهو مثل سجود والد ووالدة النبي يوسف له لما جاؤوا إليه في مصر ، قال الله في القرآن ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا﴾.

أي: وأجْلَسَ أباه وأمه على عرشه وهو سرير ملكه ، أجلسهما بجانبه إكرامًا لهما ، وحيَّاه أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود له تحية وتكريمًا ، لا عبادة وخضوعًا ، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم ، وقد حُرِّم في شريعة الإسلام ، وصار نوعا من العبادات ، كالدعاء والصلاة والصيام ونحوها ، ومن المعلوم أن العبادات كلها لا يجوز صرفها إلا لله تعالى ، وعليه فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد مطلقا لا سجود تحية ولا سجود عبادة.

والله سبحانه وتعالى له الحق في تحريم ذلك ، له الحق في تشريع ما شاء من الشرائع ومحو ما شاء ، لأنه هو الخالق الآمر المتصرف ، فكما أنه لا يخلق غيره فكذلك لا يأمر غيره ، قال الله تعالى ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ ، أي: يمحو الله ما يشاء من الأحكام ويُبقي ما يشاء منها ، لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى فيما يصلح لكل أناس من الشرائع وما يناسبهم.

***

كما وردت قصة سجود الملائكة لآدم في سورة الأعراف ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِين * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ

[1] رواه مسلم (2996).

مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال أنظرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِين﴾.[1]

هذه الآيات تتحدث أيضا عن قصة أمر الله للملائكة بالسجود لآدم سجود تحية واحترام ، فسجدوا إلا إبليس امتنع عن ذلك تكبرا وحسدا ، وقال: ءأسجد لهذا الضعيف المخلوق من طين ، ثم قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة ، أي إنك لا تستحق العيش فيها ، لأن الجنة طاهرة طيبة ، ولا يدخلها ويعيش فيها إلا نفس طيبة ، والكبر والحسد لا تتصف به إلا نفس خبيثة ، فاخرج من الجنة فما يصح لك أن تتكبر فيها ، إنك من الصاغرين ، أي الذليلين الحقيرين.

وفي آية أخرى ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾ ، أي مرجوم ، وهو المطرود المُبعد من رحمة الله.

فعندها قال إبليس لله جل وعلا حينما يئس من رحمة الله: (أمهلني إلى يوم البعث) ، فطلب ألا يموت ، بل يبقى إلى آخر هذه الدنيا ليتمكن من إغواء مَن يقدر على إغوائه من بني آدم.

فعندها قال الله تعالى له: إنك ممن كَتبتُ عليهم تأخير الأجل إلى يوم القيامة ، فمن تبعك من بني آدم فسيكون مآله هو مآلك.

وسبب إمهال الله له أنه لما كانت حكمة اللّه مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق من الكاذب ومن يطيعه ومن يطيع عدوه ؛ أجاب سؤاله فقال ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِين﴾.

فعندها قال إبليس لعنه الله: فبسبب أنك أغويتني ، أي أهلكتني بأن جعلت عاقبتي النار لا محالة ، لأجتهدنَّ في إغواء بني آدم عن طريقك القويم ، ولأقعُدنَّ على الصراط الذي أمرتهم بلزومه ، وهو الدين الصحيح ، وسأسعى غاية جُهدي في صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه ، وسأصُدهم عن عبادة الله وحده التي فطرتَـهُم عليها ، وأُزين لهم المخلوقات ، سواء كانوا جمادات كالأصنام ، أو عبادة بشر مثلهم كعيسى وأمه مريم ، ثم لآتينَّهم من جميع الجهات والجوانب ، فأصُدَّهم عن الحق ، وأُحسِّن لهم الباطل ، وأُرغِّـبهم في الدنيا ، وأُشكِّكهم في الآخرة ، وأُحبب إليهم المعاصي وأُرغِّـبهم فيها ، ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك على أنعامك.

فعندها قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة مذءوما ، أي مذموما ، مدحورا ، أي مُبعدا مطرودا عن رحمة الله ، فطرده مرة أخرى ، ثم قال: لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين.

---

[1] سورة الأعراف: 11 – 18 .

وإنما نبَّـهَـنا اللّه على ما قاله الشيطان وعزَم على فعله لنأخذ منه حذرنا ونحترز منه ، فلله تعالى علينا بذلك أكمل نعمة.

وسيأتي الكلام على وسائل الحذر من الشيطان الرجيم في آخر هذا الكتاب إن شاء الله.

***

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هذا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلا * قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا﴾[1] .

شرح الأبيات:

هذه آيات أخرى تتحدث عن نفس القصة ، ومعانيها قريبة من سابقتها ، وفيها قول إبليس: أرأيت هذا المخلوق الذي ميزته عليَّ – يعني آدم – لئن أبقيتني حيًا إلى يوم القيامة لَأَحْتَنِكَنَّ (أي لأستولِـيَـنَّ ولأستأصِلَـنَّ) ذريته بالإغواء والإفساد ، إلا القليل منهم ، وهم المخلصون في الإيمان ، جعلنا الله منهم.

فعندها قال الله مهددًا إبليس وأتباعه: اذهب ، وهذا أمر إهانة ، فمَن تبعك مِن ذرية آدم فأطاعك فإن عقابك وعقابهم وافرٌ في نار جهنم غير منقوص.

ثم قال الله ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ ، أي استَخْفِف كلَّ مَن تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي ، ﴿وأَجْـلِـب عليهم بخيلك ورجِلك﴾ ، أي وأَجْمِع عليهم بكل ما تقدر عليه مِن جنودك من شياطين الإنس والجن ، من كل راكبٍ وراجِلٍ ، وهو الماشي على رجليه ، والمقصود كل راكب وماش في معصية الله ، ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ أي واجعل لنفسك شِرْكَةً معهم في أموالهم ، بأن تُزيِّن لهم اكتساب المال الحرام ، كالربا والرشوة والسرقة ، ثم إنفاقها في معصية الله.

أما المشاركة في الأولاد فشاملٌ لكل معصية تعلقت بأولادهم ، كتزيين فعل فاحشة الزنا لينتج أولاد زنا ، أو عدم تأديب الأولاد وتربيتهم على فعل الخير وترك الشر ، أو عدم ذكر الدعاء المشروع قبل أن يحصل جماع الزوجة ، فقد

---
[1] سورة الإسراء: 61 – 65 .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله — أي يجامع زوجته – قال: (بِسم الله ، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا) ، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولد في ذلك لم يَضُره شيطان أبدا.[1]

وقد ذكر كثير من المفسرين أنه ترك التسمية (وهي قول بسم الله ، ومعناها: أبتدأ طعامي بذكر اسم الله) عند الطعام والشراب والجماع تدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ، وأنه إذا لم يُسَمِّ الله في ذلك شاركه الشيطان طعامه.

ثم قال الله ﴿وعِدْهم وما يَعِدُهم الشيطان إلا غرورا﴾ ، أي عِدْ أتباعك مِن ذرية آدم بالوعود الكاذبة ، كوعدِهم أنَّ ارتكاب المعاصي لن يَضرهم ، وأنه لا قيامة ولا حساب ، وأنه إن كان حساب وجنة ونار فأنتم أولى بالجَنَّـةِ من غيركم ، فكل وعود الشيطان باطلة وغرور.

ثم قال الله ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾ ، أي ليس لك أيها الشيطان سبيل تَسلُّطٍ وإغواء على عبادي المؤمنين الذين قاموا بعبوديته ، بل الله يدفع عنهم إغواءك وشرورك ويقوم بكفايتهم منك ، ويكون لهم حافظا وناصرا ومؤيدا.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ أي أن الله سيتوكل بحفظ عباده المؤمنين ، وكفى به وكيلا سبحانه وتعالى ، فهو خير وكيل وحافظ.

[1] رواه البخاري (6388) ومسلم (1434) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

8. استخلاف آدم في الأرض

جاء الخبر في القرآن الكريم بأن الله سبحانه وتعالى قال للملائكة أنه سيجعل خليفة في الأرض ، أي قوم يخلف بعضهم بعضا لعمارة الأرض ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض أحد ، ولم يذكر لهم أنه آدم ، قال الله في القرآن العظيم ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾.[1]

فلما قال الله للملائكة ذلك أرادت الملائكة استكشاف الحكمة في ذلك ، فقالوا: يا ربنا ، ما الحكمة في خلق هؤلاء ، مع أن منهم من يُفسد في الأرض ويَسفك الدماء بالقتل؟

والملائكة سألوا هذا السؤال لعلمهم أن الجن كانوا في الأرض قبل أن يخلق الله آدم ، فأفسدوا في الأرض ، وسفكوا الدماء ، فبعث الله جندا من الملائكة فضربوهم ، حتى ألحقوهم بالجُزُر التي في البحار ، فلهذا لما قال الله للملائكة : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعل الجن قبلهم؟ فإن كان المراد عبادتك يا ربنا ، فنحن نسبح بحمدك ونصلي لك.

فقال الله تعالى مجيبا لهم عن سؤالهم: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق آدم وجعلِه في الأرض ما لا تعلمون أنتم ، فإني سأجعل فيهم الأنبياء ، وأُرسل فيهم الرسل ، وسيوجد فيهم الصديقون والشهداء ، والصالحون والعباد ، والزهاد والأولياء ، والأبرار والمقربون ، والعلماء العاملون والخاشعون ، والمحبون المتبعون لرسله.

وفي هذه الآية الكريمة بيان أن الله لم يمنع السؤال ، بل إن باب السؤال مفتوح لمن أراد أن يعلم الحكمة من الأوامر والنواهي الإلٰهية ، ليعظُم إيمان الناس بما علِموه ، ويعظم إيمانهم بصفة الحكمة لله سبحانه وتعالى ، ولهذا حث الله نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) على العلم والسؤال والتبصر بالدين فقال ﴿وقل ربِّ زدني علما﴾.

ومما ينبغي أن يُعلم أن قول الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيها﴾ ليس المقصود منه الاعتراض على الله ، بل هو سؤال بحسب ما وصل إليه فهمهم ، وليس قصدهم الاعتراض على الله ، أو الحسد لبني آدم ، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف للحكمة الإلٰهية من خلق آدم وجَعْلِهِ يعيش مع ذريته في الأرض.

والله سبحانه وتعالى لم يخبر الملائكة بتوقيت ذلك الاستخلاف ، وإنما أخبر عن حصوله في المستقبل فحسب.

وللعلم فهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي تتحدث عن استخلاف آدم في الأرض.

---

[1] سورة البقرة: 30 .

9. تعليم آدم الأسماء كلها

ثم قال الله بعد الآيات المتقدمة: ﴿وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[1]

شرح الآيات:

بعد خلق آدم ، وتبعا لتلك المحادثة بين الله والملائكة في إعلامهم باستخلاف آدم وذريته في الأرض ، ولِـيُـبَـين الله فضل آدم وأحقيته بالخلافة في الأرض ؛ فإن الله علَّمه أسماء الأشياء كلها ، كأسماء الحيوانات وأنواع الطعام وغير ذلك ، ثم عرض تلك المُسمَّيات على الملائكة ، **ليظهر شرف آدم بكونه يعلم أشياء لا تعلمها الملائكة** ، فقال الله لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات إن كنتم صادقين في أفضل من آدم.

فعندها لم تعلم الملائكة الإجابة ، فقالت: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم﴾ ، أي: نُـنَـزِّهك يا ربَّنا ، ليس لنا علم إلا ما علَّمتنا إياه ، إنك أنت وحدك العليم بشئون خلقك ، الحكيم في تدبيرك.

فعندها قال الله لآدم: يا آدم أخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجَزوا عن معرفتها ، فلما أخبرهم آدم بها ظهر شرفه عليهم بأنْ عَـلِم ما لم يعلموه.

فعندها قال الله للملائكة: لقد أخبرتكم فيما سبق بأني أعلم ما خفي عنكم في السماوات والأرض ، وهو الحكمة من خلق آدم وفضله ، والآن تبين فضله عليكم بالعلم ، فتبينت بهاتين الحادثتين الغرض منهما.

وللعلم فهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي تتحدث عن تعليم آدم الأسماء ، وتفضيله على الملائكة بعلم ما لم يعلموه.

[1] سورة البقرة: 31 – 33 .

10. من هو إبليس (الشيطان)

الجواب:

إبليس من الجن ، قال الله في القرآن ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر به﴾ ، والجن مخلوق من نار ، كما قال الله في القرآن ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السَّموم﴾[1] .

أي: وخلقنا الجن مِن قَبْلِ خلق آدم من نار شديدة الحرارة لا دخان لها ، كما قال الله في الآية الأخرى ﴿وخلق الجان من مارجٍ من نار﴾[2] ، أي خلقنا الجن – وإبليس منهم – من لهب النار المختلط بعضه ببعض.

وإبليس كان عابدا لله ، أمره الله بعبادته وطاعته ، فكان كذلك مدة لا يعلمها إلا الله ، ثم لما خلق الله آدم أمره الله وأمر الملائكة أيضا بالسجود له سجود تحية ، إكراما له وإظهارا لفضله ، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس أبى واستكبر ، وكان دافع ذلك هو الحسد والكِبر لآدم ، قال الله في القرآن العظيم ﴿ما منعك أن تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ، فصار إبليس من الجاحدين لأمر الله ، الكافرين به ، قال الله في القرآن ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس **أبى واستكبر** وكان من **الكافرين**﴾.

فالشيطان كافر ، والكُفر هو جحد الحق ورده ، قال الله تعالى عن الشيطان: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ **كَفُورًا**﴾[3] ، وقال الله تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[4] .

ثم لما كفر إبليس وردَّ أمر الله طرده الله من جنته ، قال الله في القرآن ﴿اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ ، أي اخرج من الجنة ممقوتا مطرودا.

ثم اتخذ إبليس عهدا على نفسه أن يغوي بني آدم ، إلا من كان منهم معتصما بالدين الصحيح الذي شرعه الله ، فإنه لا يستطيع إليه سبيلا ، ﴿قال فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾.

---

[1] سورة الحجر: 28 .
[2] سورة الرحمٰن: 15 .
[3] سورة الإسراء: 27 .
[4] سورة مريم: 44 .

وأول مظاهر عداوة الشيطان للإنسان لإيقاعه في معصية الله هو إغواءه لأبينا آدم وزوجته حواء للأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها كما سيأتي في الفصل التالي.

وقد تقدم بيان معنى كلمة (إبليس) ، وأنها من الإبلاس وهو الإياس أو اليأس ، أي الإياس من رحمة الله سبحانه وتعالى.

11. قصة آدم لما أكل من الشجرة التي حرَّم الله عليه الأكل منها

نهى الله جلَّ ثناؤه أبانا آدم وزوجته أمنا حواء عن أكل ثمار شجرةٍ بعينها من أشجار الجنة ، دون سائر أشجارها ، فأغواهما الشيطان بالأكل منها ، فأخطآ فأكلا منها ، فإن البشر بطبيعتهم غير معصومين عن الوقوع في الخطأ ، ثم تابا وطلبا من الله المغفرة فغفر الله لهما ذنبهما ، لأن الله رحيم بعباده ، يقبل توبة من أخطأ منهم ثم تاب ، فإنه يعلم منهم طبيعة الخطأ لأنه خلقهم غير معصومين ، فمحا الله عنهم ذنبهم ، وانتهى الأمر بحمد الله.

وقد جاء ذكر قصتهما في مواضع من القرآن الكريم ، قال الله تعالى ﴿وقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حين * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾.[1]

وقد جاء ذكر قصة أكل آدم وحواء من الشجرة في سورة الأعراف ، قال تعالى ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هذه الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِين * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِين * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِين * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُون﴾.[2]

كما جاء ذكر قصة آدم وأكله من الشجرة في سورة طه ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىَ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدم فَسَجَدُوَاْ إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَىَ * فَقُلْنَا يا آدم إِنّ هَذَا عَدُوّ لّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنّكُمَا مِنَ الْجَنّةِ فَتَشْقَىَ * إِنّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىَ * وَأَنّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَىَ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشّيْطَانُ قَالَ يا آدم هَلْ أَدُلّكَ عَلَىَ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاّ يَبْلَىَ * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنّةِ وَعَصَىَ ادَمُ رَبّهُ فَغَوَىَ * ثُمّ اجْتَبَاهُ رَبّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىَ﴾.[3]

---

[1] سورة البقرة: 35 – 39 .

[2] سورة الأعراف: 19 – 25 .

[3] سورة طه: 115 – 122 .

شرح الآيات:

نهى الله جلَّ ثناؤه أبانا آدم وزوجته حواء عن أكل ثمار شجرةٍ مُعَيَّنَةٍ من أشجار الجنة ، الله أعلم ما هي تلك الشجرة ، ، فإن الله لم يضع لعباده دليلا على تحديد نوع تلك الشجرة ، ولم يذكر ذلك في القرآن ، ولم يذكر ذلك النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في أحاديثه.

وقد قيل إنها شجرة البُـرْ ، وقيل كانت شجرة العنب ، وقيل إنها شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وعلى كل حال فالعلم بنوع تلك الشجرة لا يترتب عليه عمل وفائدة ، والجهل به لا يضر ، ولو كان في العلم به خير لأخبر الله به.

وقد حذَّر الله عبده آدم من إغواء الشيطان فقال ﴿فَقُلْنَا يا آدم إِنّ هَذَا عَدُوّ لّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنّكُمَا مِنَ الْجَنّةِ فَتَشْقَىَ﴾ ، أي إنك إن استمعت إلى الشيطان وأكلت من الشجرة فسيكون عقاب ذلك الخروج من الجنة ، ثم تتعرض للشقاء ، بالكدح والعمل في الأرض بدلا أن تكون مُـنَـعَّـما في الجنة.

ثم قال الله واعدا له إن فعل ذلك ﴿إِنّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىَ * وَأَنّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَىَ﴾ ، أي لك إن لم تأكل من الشجرة أن تبقى في الجنة خالدا فيها لا تجوع ولا تعرى من اللباس ، بل تلبس لباس أهل الجنة من الحرير والديباج ، وأنك لا يُصيبك العطش ولا تضحى ، أي لا يُصيبك الحر الشديد.

ولكن الشيطان حسد آدم على هذه النعمة ، فأغواه وزوجته ، ووسوس لهما وزيَّن لهما الأكل من الشجرة التي حرَّم الله علهما الأكل منها ، وأقسم لهما أنه ناصح لهما في مشورته عليهما ، وهو كاذب في ذلك ، ومما قاله لهما ليمكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل من ثمار هذه الشجرة من أجل أن لا تكونا ملَكَين ، ومن أجل أن لا تكونا خالدَين في الحياة ، فانطلت عليهما خِدعة إبليس لعنه الله ، فأكلا منها ، فغضب الله عليهما ، وقال لهما أ لم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مُبين ، أي ظاهر العداوة؟

فنزع الله عنهما لباسهما ، لباس أهل الجنة ، عقوبة لهما على تلك الخطيئة ، فراحا يغطيان عوراتهما بأوراق الجنة كما قال تعالى ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنّةِ﴾ ، أي: فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه على أنفسهما ليسترا ما انكشف من عوراتهما.

فلما علِم آدم وحواء بأنهما أخطآ ندِما ندمًا عظيما ، وقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، أي مِمَّن أضاعوا حظَّهم في دنياهم وأُخراهم.

فاستغفرا الله ، أي طلبا منه المغفرة وقبول التوبة ، فألهمهما الله قول كلمات فيها دعاء وتذلل واستغفار فقالاها ، قال الله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ ، والكلمات هي ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ ، فلما قالاها تاب الله عليهما وغفر ذنبهما ، كما قال تعالى ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ ، لأن الله تعالى رحيم بعباده ، يقبل توبة من أقبل عليه طالبا المغفرة والعفو ، كما قال تعالى عن نفسه ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾.

ثم بعد ذلك أهبط الله آدم وحواء من الجنة إلى الأرض هذه التي نعيش عليها ، تحقيقا لقضائه الذي قضاه من قبل إن أكل آدم من الشجرة ﴿ فَقُلْنَا يا آدم إِنّ هَذَا عَدُوّ لّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنّكُمَا مِنَ الْجَنّةِ فَتَشْقَى﴾ ، أي تشقى إذا خرجت منها ، لأن الأرض دار عمل وكدح ، أما الجنة فدار نعيم ، ليس فيها شقاء ولا كدح.

فقضى الله قضاءه بالحق أن يستقر آدم وذريته في الأرض إلى أن تنقضي آجال الناس ، ثم يبعثهم الله يوم القيامة ويحاسبهم ، فمن اختار طريق الإيمان كان مصيره إلى الجنة ، ومن أعرض عن الإيمان كان من أهل النار عياذا بالله ، كما قال تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.

12. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم: التحذير من اتباع الشيطان

الشيطان عدو للإنسان كما تبين معنا ، قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [1] ، ولهذا أمر الله بالحذر منه ، قال الله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ **لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ** يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.[2]

في هذه الآيات حذر الله تعالى بني آدم من أن يفتنهم الشيطان فيوقعهم بالمعاصي كما فعل بأبيهم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ ، ومعنى يفتِنكم أي يزين لكم العصيان ويدعوكم إليه ويرغبكم فيه فتنقادون له ، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ ، أي كما أنزلهما من المَحل العالي إلى ما هو أدنى منه وهو الأرض ، فأنتم أيها الناس يريد الشيطان أن يفعل بكم كذلك حتى يَفتِنكم عن الطريق الصحيح إن استطاع ، فيُزيِّن لكم عدم اتباع النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فتتخبطون في المعاصي وفي الآراء والتحريفات ، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم ، وأن لا تغفُلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم ، فتستقيموا على طاعة الله وعلى دين الإسلام ، إِنَّهُ (أي الشيطان) يراقبكم على الدوام هُوَ وَقَبِيلُهُ ، وهم أتباعه من شياطين الجن مِمَّن هم من ذريته ، فإن الشيطان له ذرية كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن إبليس يضع **عرشه** على الماء ثم يبعث سراياه).[3] والعرش هو سرير الملك.

فالحاصل أن إبليس وجنوده وهم الشياطين يرون الناس من حَيْثُ لَا يرَوْنَهُمْ ، لأن الجن لا يراهم الناس بمقتضى خلقتهم.

ثم قال الله ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ ، أي: إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ وأصفياء ومُحِبِّين للكافرين الذين لَا يُؤْمِنُون ، فعدم الإيمان الصحيح هو الموجب لعقد الوِلاية والصِّلة بين الإنسان والشيطان ، كما قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُون﴾.

والحذر من الشيطان يكون باتباع ثلاثة خطوات:

الأول: الاستعاذة من الشيطان ، قال الله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ **فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ** إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾[4] .

---

[1] سورة يوسف: 5 .

[2] سورة الأعراف: 27 .

[3] رواه مسلم (2813) عن جابر رضي الله عنهما.

[4] سورة الأعراف: 200 .

والاستعاذة هي قول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أي ألتجئ وأعتصم بالله من الشيطان الرجيم ، والرجيم أي المرجوم ، وهو المُبعد المطرود من الخيرات ومن رحمة الله.

الثاني: الحذر من اتباع خطوات الشيطان ، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1] ، وخطوات الشيطان هي المعاصي على اختلاف أنواعها ، سواء الشرك بالله أو البدع أو ما دونها من المعاصي من الكبائر والصغائر.

الثالث: اتباع الأنبياء ، وآخرهم محمد (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[2].

[1] سورة الأنعام: 142 .

[2] سورة الأعراف: 35 – 36 .

13. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم لما أكل من الشجرة:

بيان بطلان عقيدة توارث الذنب الأصلي التي يعتقدها النصارى ، ولنا معها ثمانية عشر وقفة

1. أبونا آدم بشر مثلنا ، وأمنا حواء بشر مثلنا ، والبشر من طبيعته الخطأ ، فلما أخطآ وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها ؛ استغفرا ربهما وتابا إلى الله فغفر الله لهما **وانتهى الموضوع** ، ولم تبق الخطيئة في ذمتهما فضلا عن انتقالها إلى ذريتهما عبر الأجيال والقرون كما يظنه بعض الناس.

2. ثم إن الناس الذي تناسلوا من ذريتهما إلى يوم القيامة ليس لهم ذنب أصلا في الأكل من الشجرة ، فإنهم لم يأمروا أباهم بذلك ولم يشاركوه في الأكل ، وبناء عليه لو أن الله سيؤاخذ البشر بذنب أبيهم **لكان ظالما** – حاشاه من ذلك – ، لأنهم لم يتسببوا في ذلك الخطأ أصلا ، فبأيِّ حقٍّ يتحملون شيئا لم يفعلوه ، كيف وقد علمنا أن الله قد غفر لآدم وحواء ذنبهما فلم يبق لذلك الذنب وجود أصلا؟!

   قال الله تعالى: يا عبادي **إني حرمت الظلم على نفسي** وجعلـتُه بينكم مُحَرَّما فلا تظالموا.[1]

3. تحميل الإنسان ذنب غيره يُعتبـر من القبائح التي يترفَّع عنها البشر ، فكيف يليق وصف رب البشر بذلك ، فلو أن أحدا من الناس عاتبه شخص آخر على خطأ بشري ارتكبه جده العاشر لاعتَبـر ذلك سفها في العقل ، لأنه لم يكن له أثر في حصول ذلك الخطأ فكيف يُحمَّل تبعاته ، بل لم يكن موجودا على سطح الأرض لما ارتكب جده ذلك الخطأ فبأي حق يتحمل ذنبه؟!

   فإذا كانت مؤاخذة الإنسان بذنب غيره لا تليق بالمخلوق ، فكيف يليق وصف الخالق بها وهو الله سبحانه وتعالى ، الذي هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين؟!

   أيتها القارئة الكريمة ، لو طرقَت عليك جارتك الباب ، وقالت لكِ إن أحد قريباتك ماتت من مئة سنة ، وأنها ارتكبت خطأ على قريبة لها ماتت في ذلك الحين ، وينبغي لك الآن أن **تتحملي الخطأ الذي ارتكبته قريبتك** وتعطيها بالمقابل تعويضا ماليا!

   ما رأيك بهذه المنطقية والتفكير؟ هل هذا من العدل والإنصاف؟

   بالطبع ستقولي لها أن هذا تفكير غير منطقي وظالم ، لأنك أنت ليس لك علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع ، فأنتِ لم تأمري قريبتك بأن تخطئ على جارتها ولم تشاركي في وجود ذلك الخطأ أصلا ، بل لم تكوني

[1] رواه مسلم (2577) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

موجودة على كوكب الأرض لما ارتكبت قريبتك ذلك الخطأ ، فبأيٍّ حقٍّ تتحملي كل أو جزء من تبعات ذلك الخطأ؟!

فإذا كان معاقبة الذرية بسبب ذنب لم يفعلوه غير لائق بالبشر ، فكيف يصح نسبته إلى رب البشر ، أم أن العقل والعدل والإنصاف يليق بالبشر ولا يليق برب البشر؟!

أم أننا نُحسِن وصف الله بأوصاف النقص ووصفَ أنفسنا بصفات الكمال؟

مقتضى هذا الكلام أننا أحسن من الله ، وهذا لا يقوله عاقل منصف.

4. أي قانون إلٰهي ينص على أن الأطفال الرُّضَّع يولدوا مذنبين ، وهم الذين ضربوا المثال الأعلى في البراءة ، هذا لا يليق بالمخلوقين ، فكيف بالخالق وهو الله سبحانه وتعالى ، إذا هو يتنافى مع صفة الرحمة والشفقة لله تعالى.

5. أيها القارئ الكريم: قد بين الله في خمسة مواضع من كتابه (القرآن الكريم) أنه لا تزر وازرةٌ وزر أخرى ، والوِزرُ هو الإثم ، والمعنى لا تتحمل نفسٌ إثم نفس أخرى ، بل كل إنسان يحمل حسناته وسيئاته ، فإذا كان يوم القيامة تجازى كل نفس بما كسبت ، قال الله تعالى ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ ، يعني كل إنسان مرتهن بعمله يوم القيامة ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، ولا يؤاخذ الله أحد بذنب غيره ، وهذا مقتضى العدل والإنصاف.

6. فبهذا يتبين لنا بطلان عقيدة توارث الذنب الذي ارتكبه أبونا آدم إلى جميع بنيه من عشرات القرون ، تلك العقيدة الخرافية التي يعتقدها جماهير النصارى (المسيحيين) في طول العالم وعرضه ، والتي تنص على أن جميع الخليقة تستحق العقوبة على ذنب أبينا آدم مع كونها لم تباشره ، وهذا الظن لا يصح نسبته للبشر العاديين مثلي ومثل القارئ الكريم ، فمن باب أولى لا تصح نسبته إلى الله الرحيم العادل ، **لأن الله له صفات الكمال** ، كما تصح نسبة هذه العقيدة إلى شريعة عيسى ابن مريم التي جاء بها ، فالإنجيل الذي جاء به عيسى ابن مريم وصفه الله بأن فيه هدى ونورا ، وجاء لهداية أمة بني إسرائيل ، فرسالة عيسى الأصلية هي للهداية والارشاد ، ولكن مع الأسف فإن الإنجيل لم يُحفظ ، فتحرف كثيرا ، **حتى تحول الإنجيل من إنجيل واحد بيد عيسى ابن مريم والحواريين إلى 66 إنجيل بيد البروستانت ، و 73 إنجيل بيد الكاثوليك ، لا يطابق واحد منها الآخر ولا في واحد في المئة من محتواه** ...

بل إن الإنجيل المتوفر بأيدي النصارى الآن يشهد بعدم حصول الذنب الأصلي ، بل ينص على براءة الأطفال من الذنوب ، فعُلِم بهذا أن ذلك الذنب ليس له وجود أصلا ، وبناء عليه فعقيدة الذنب المتوارث عقيدة خرافية.

اقرأ معي أيها القارئ الكريم هذه النص من الإنجيل:

Suffer the little children to come unto me, and forbid them not, for such is the Kingdom of God. Verily, I say unto you, whosoever shall not receive the Kingdom of God as a little child, he shall not enter therein. (Mark 10:14-15)

فإذا كان الطفل وُلِد بريئا من الخطايا ، فكيف يتلبس الإنسان بذلك الذنب بعدما يكبر؟!

7. وبهذا يتبين لنا أيضا بطلان عقيدة الفداء ، والتي تتبع عقيدة توارث الذنب ، وهذه العقيدة يعتقدها جميع النصارى (المسيحيين) ، وتنص على أن المسيح عيسى ابن مريم صُلِب على الصليب ورضي بالموت ليفتدي خطايا أتباعه ، ويمحو عنهم الذنب المُتوارث من أبيهم آدم ، فهذا الاعتقاد باطل بدلالة الأناجيل نفسها من أربعة وجوه:

a. الإنجيل ينص على أن عيسى لم يُرِد أن يُصلب على الصليب ، بخلاف ما تنص عليه عقيدة التحرر من الخطيئة من أنه كان يريد ذلك طواعية من نفسه.

Mark 14:36

b. الأناجيل المتوافرة بيد النصارى تشهد بأن الانسان يحاسب على عمله ، سواء كان خيرا أو شرا ، ولا يتعدَّى الذنب صاحب الذنب إلى غيره ، لا أبناءه ولا غيرهم ، فبناء عليه فذنب أبينا آدم لم ينتقل لأبنائه ، فبطلت بذلك عقيدة توارث الخطيئة.

The man who plants and the man who waters have one purpose, and each will be rewarded according to his own labour. (I Corinthians 3:8)

c. الانجيل ينص على أن الله هو الذي يُخلص الناس من خطاياهم **وليس عيسى**:

You may know and believe Me and understand that I am He. Before Me no god was formed, nor shall there be any after Me. I, I am the Lord, **and besides Me there is no Saviour**. (Isaiah 43:10-11)

8. ثم إن مغفرة ذنوب أناس بقتل آخرين أنفسهم يتنافى مع صفة الرحمة والعدل ، فالله ليس محتاجًا إلى أن يقتل أحد نفسه راضيا مختارا لا لمغفرة ذنوب نفسه ولا لمغفرة ذنوب غيره ، فإن الله غني ورحيم وشفيق.

9. قَتلُ الإنسانِ نفسه من أجل تكفير خطايا أناس آخرين باطل من الجهة العقلية المنطقية ، لأنهما أمران لا ارتباط بينهما ، فلو أن إنسان ارتكب ذنبا ، فجاء شخص آخر ليحاسبه على خطئه ، فجاء ثالث فقال: أرجوك لا تحاسبه ، وسأخلع سِنِّي مقابل أن تسامح صديقي ، فهل هذا التصرف منطقي؟

الجواب: لا طبعا ، فكذلك نقول بالنسبة لعقيدة تكفير الخطيئة والتخليص منها ، والتي تنص على أن أبانا آدم وأمَّنا حواء يرتكبان الخطأ ، فينتقل الخطأ إلينا ، ثم يأتي المسيح عيسى ابن مريم ويرضى بقتل نفسه (وليس فقط خلع سِنِّهِ) لتخليصنا من الخطأ.

10. ومن دلائل بطلان تلك العقيدة وبيان أنها أُدخِلت في شريعة عيسى الأصلية (وهي منها براء) هو السؤال الذي يطرح نفسه: ما حال الناس الذين ماتوا بعد آدم وقبل ولادة عيسى؟

مقتضى تلك العقيدة أنهم كلهم سيذهبون للجحيم لأنهم لم يتطهروا من ذلك الذنب المزعوم!

وكيف يتطهروا منه وهم وُلِدوا قبل مجيئه كمُخَلِّص وحيد من الخطيئة المزعومة؟!

هذه قمة المعاندة للعقل والمنطق.

11. لو كانت تلك العقيدة واقعية فعلا لأرشد الأنبياء – ممن جاؤوا قبل عيسى – أقوامهم للتخلص من تلك الخطيئة ، لأن الأنبياء مرسلون من عند الله ، ووظيفتهم بيان طريق النجاة من النار لأقوامهم ، وبيان طريق الوصول للجنة ، أعني مثل الأنبياء موسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم.

12. لو كانت عقيدة توارث الخطيئة تنص على أن عيسى **سيطلب من الله سبحانه وتعالى ويدعوه** لأن يغفر للناس ذنبهم الذي توارثوه (على افتراض حصول توارث الخطيئة) لكان هذا التصرف مقبولا ، فإن دعاء الناس بعضهم لبعض أمر مطلوب ، فهذا يدعو الله أن يوفق هذا في الامتحان ، وهذا يدعو لهذا أن يدخله الجنة ، وهكذا ، أما أن يقتل نفسه ليغفر الله للناس فهذا تصرف لا علاقة له بالمغفرة ، وما الذي يحبه الله في هذا التصرف؟!

13. ثم لو افترضنا – **مجرد افتراض** – أن خطيئة أبينا آدم لم يغفرها الله ، وأنها انتقلت عبر الأجيال وتوارثها الناس ، وأن على كل إنسان أن يطهر نفسه منها ، ففي هذه الحالة يجب على كل فرد أن يتوب منها بنفسه ، وليس اعتمادا على الآخرين ، سواء كان المسيح عيسى ابن مريم أو غيره ، فإن الله شرع الأديان لكي يعمل الناس ويقوموا بالعلاقة المباشرة بينهم وبين خالقهم ورازقهم وهو الله ، أما أن يعمل عنهم غيرهم بالنيابة عنهم فكيف تحصل العبودية منهم لله خالقهم ورازقهم؟

ولهذا فقد علَّمنا الله طلب المغفرة منه إذا نحن أذنبنا ، ووعدنا بالمغفرة إن كنا صادقين في ذلك ، كل هذا لتحقيق العبودية له سبحانه وتعالى ، وليكون الاتصال بيننا وبينه مباشرا ، ولم يطلب الله من نبيه عيسى إطلاقا قتل نفسه لتكفير خطايا الناس ، فهذا الاعتقاد يتنافى مع صفات الله سبحانه وتعالى (الرحيم ، الغفور ، التواب).

قال تعالى في القرآن في حث المسلمين على التوبة من الذنوب ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُون * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُون * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِين * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِين * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِين * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِين * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون﴾.

14. ومن جهة أخرى فإن الحق الذي لا مرية فيه أن الله خلَّص نبيه العظيم المسيح عيسى ابن مريم من مؤامرة القتل ، ولم يُصلب أصلا ، بل رفعه الله إلى السماء في معجزة إلٰهية لم تحصل لنبي قبله ، وحماه من القتل والصلب ، وألقى شَبَـهَ المسيح على الرجل اليهودي الذي تآمر مع اليهود لقتل المسيح ، وجاء بهم ليدُلَّـهم عليه ليقتلوه ، فمكر الله به كما تقدم ، فألقى شَبَـهَ المسيح عليه ، فلما رأوه ظنوه هو المسيح عيسى ابن مريم ، فقتلوه وصلبوه وبصقوا في وجهه ، ثم استقر الاعتقاد عند اليهود والنصارى منذ ذلك الحين إلى هذا الحين في أن ذلك الرجل المصلوب هو المسيح عيسى ابن مريم ، وأخطأوا في هذا خطأً عظيما ، فالحق في وادٍ وهم في وادٍ آخر ، فإن الله كرَّم نبيه عن الإهانة والذل ، ورفعه إليه في السماء ، وسينزل في آخر الزمان قبل يوم القيامة ، كما قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجـدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها).

ثم قال راوي الحديث: وأقرئوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾.

قوله (فيَكسر الصليب) أَيْ يُبْطِل دِين النَّصْرَانِيَّة بِأَنْ يَكْسِر الصَّلِيب حَقِيقَةً ، وَيُبْطِل مَا تَزْعُمهُ النَّصَارَى مِنْ تَعْظِيمه.

قوله (ويضع الجزية) أي لا يقبلها من أحد ، فلا يقبل إلا دين الإسلام.

قوله (ويَفيض المال) أي يكثر في زمن نزول عيسى ابن مريم ، وَسَبَب كَثْرَته نُزُول الْبَرَكَات وَتَوَالِي الْخَيْرَات بِسَبَبِ الْعَدْل وَعَدَم الظُّلْم.

قَوْله: (حَتَّى تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) ، أَيْ إن الناس حينئذ يَرْغَبُونَ عَنْ الدُّنْيَا ويُعرِضون عنها حَتَّى تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة لربهم أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، لعلمهم بقرب قيام الساعة ، وذهاب زمن العمل الصالح.

وفي هذا إشارة أيضا إِلَى صَلَاح النَّاس وَشِدَّة إِيمَانهمْ وَإِقْبَالهمْ عَلَى الْخَيْر ، فَهُمْ لِذَلِكَ يُؤْثِرُونَ الرَّكْعَة الْوَاحِدَة عَلَى جَمِيع الدُّنْيَا.

قوله تعالى ﴿وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾

أي: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح ، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار ، فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن محمد صلى الله عليه وسلم في نزول النبي العظيم عيسى عليه السلام في آخر هذه الأمة ، يقتل الدجال ، ويضع الجزية ، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين.

ولكن في يوم القيامة يكون عيسى شهيدا على من لم يؤمن به الإيمان الصحيح بأنه نبي بشر ، أرسله الله إلى بني إسرائيل بالمعجزات ، ليس له من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء ، وأنه دعا قومه إلى الإيمان بمحمد فور ظهوره.

وحينئذ يعلم كل عابد لعيسى أنه كان مخطئا ، وأن اتخاذه ربا إلها ليس من دين عيسى ولا محمد ولا موسى ولا أي واحد من الأنبياء ، ويندم حين لا ينفع الندم.

أيها القارئ والقارئة المنصفين العادلين:

بعد قراءتكما لهذه القصة ، من الأحق بتعظيم المسيح: المسلمين ، أم النصارى واليهود؟

15. ومما ينبغي علمه أن أصل هذه العقيدة الخرافية الباطلة هو عبث القساوسة والرهبان في دين المسيح عيسى ابن مريم على مدى عشرين قرنا ، والكلام في هذا يطول ، وأُحيل القارئ الكريم إلى بحثٍ يثبت ذلك من المصادر الإنجيلية الكنائسية وعنوانه: «التغير التدريجي في رسالة عيسى ابن مريم الصحيحة على مدى عشرين قرنا».[1]

16. وبمجموع ما تقدم تبين لنا كيف صحَّحَ دين الإسلام هذا المفهوم ، مفهوم خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء ، وجدَّده في البشرية كلها بعد أن تخبط الناس في ذلك دهورا تقارب الستة قرون ، منذ رُفِع المسيح إلى نزول القرآن ، وأصل ذلك التخبط أمران ؛ **الأول**: تلاعب اليهود بالإنجيل ، **والثاني**: عدم حفظ رهبان النصارى للإنجيل.

فتغير دين المسيح ابن مريم تغيرا عظيما ، فبدلا من عبادة الله وحده صاروا يعبدون عيسى ابن مريم وأمه.

وبدلا من اعتقادهم بأن عيسى ابن مريم كان بشرا رسولا ، صاروا يعتقدون أنه هو الله ، وأناس يعتقدون أنه ابن الله ، وأناس يعتقدون أنه ثالث ثلاثة ، وينفون عنه أنه رسول إلى بني إسرائيل.

---

[1] هو منشور في صفحتي في شبكة المعلومات (www.saaid.net/The-clear-religion) ، كما أنه منشور في مواقع أخرى.

ثم اخترعوا أن آدم لم يغفر الله له ، ثم اخترعوا أن تلك الخطيئة يتوارثها الناس عبر الأجيال ، ثم اخترعوا أن التحرر من الخطيئة لا يكون إلا بالإيمان بأن عيسى هو المُخَلِّص لهم من ذلك وأنه رضي بأن يصلب ويُقتل لهذا السبب ، وهو المعروف بالتحرير من الخطيئة ، فجاء الإسلام ليبين الحقيقة للناس كلهم ، لأنه الدين الخاتم والنهائي ، ولأنه الدين المحفوظ بأمر الله الكوني من التلاعب والتحريف ، فبين أن تلك الخطيئة قد غفرها الله لآدم بعد حصولها منه مباشرة ، فلم يعُد لها وجود.

فالإسلام جعل المسألة واضحة كالشمس ، ليس فيها غموض ولا أسرار ، لأنه دين الله الذي أنزله الله على البشر ، والله لم يجعل على الناس أغلال وتشديد وغموض ، وإنما يتصف الدين بالتشديد إذا خالطته تحريفات البشر ، ومن ذلك عقيدة الصلب والفداء وربوبية عيسى ابن مريم.

وقد نسخ الله جميع الأديان بدين الإسلام ، فلم يبق دين صحيح مُوصل إلى رضوان الله إلا هو ، وجميع الأديان قد حلَّ دين الإسلام محلها ، وحفظ الله دستوره وهو القرآن من الضياع ، فيجب على الناس كلهم الدخول فيه ، فبالإسلام – وبالإسلام فقط – يؤمن الإنسان بعيسى وموسى ومحمد وجميع الأنبياء ، ولهذا قال الله تعالى ﴿ومن يبتغِ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

17. فالحاصل أن عقيدة الذنب الأصلي وعقيدة الفداء عقيدة وهمية ، ليس لها وجود في رسالة عيسى ابن مريم الأصلية ، بل هي من التحريف الذي دخل على دين عيسى ابن مريم على مدى القرون ، ودور اليهود معروف في عداوة الأنبياء ، فقد بين الله في القرآن أنهم قتلوا كثيرا من أنبياء بني إسرائيل ، وهموا بقتل عيسى فحماه الله ، وفي نهاية المطاف أرادوا قتل النبي محمدا (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك أن امرأة يهودية وضعت سُمًّا في شاة مشوية ، وأهدتها للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فأكل منها ، فأثر هذا السُّم فيه فمات بعد بضعة أشهر.

18. ومن باب الفائدة ، فقد يسر الله لي اعداد بحث مختصر باللغة الانجليزية في إثبات بطلان عقيدة original sin ، بينت فيه بطلان هذه العقيدة بدلالة الإنجيل والقرآن والعقل ، وهو منشور في شبكة المعلومات باسم:

Is the Original Sin a Fact?[1]

[1] هو منشور في صفحتي في شبكة المعلومات (www.saaid.net/The-clear-religion).

خاتمة

تم البحث بحمد الله ، وقد تم فيه توضيح قصة ابتداء خلق أبينا آدم ، ثم خلق أمنا حواء ، ثم ذِكْر قصة تكريم الله لآدم بالعلم ، ثم قصة تشريف الله له بأمر الملائكة للسجود له سجود تحية ، ثم ذكر قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها ، ثم قصة توبته من تلك الخطيئة وكيف أن الله تاب عليه وسامحه وعفا عنه وغفر له ذلك الذنب ومحاه فلم يعد له وجود ، ثم بيان قصة استخلاف آدم في الأرض ، بعمارة بَنِيه لها جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة.

ثم بعد بيان الحق يسَّر الله بيان ضده ، فتكلمتُ بما يسَّر الله على الاعتقاد الخاطئ المتعلق بمسألة خطيئة أبينا آدم ، والجواب عنها من سبعة عشر وجها.

تم الكتاب بحمد الله ، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ماجد بن سليمان

مساء السبت ، الثاني من شهر شعبان لعام 1435 هجري ، الموافق 31 مايو ، 2014 ميلادي.